﴿المحاضرة - 11 - الحادية عشرة﴾

الأدب الجزائري في عهد الدولة الزيانية

عناصر الدرس

1- تاريخ الدولة الزيانية
2- النشاط العلمي في الدولة الزيانية
3- الأدب والأدباء في العهد الزياني
4- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الزيانية، ومختارات من أدبهم
5- الأدب الجزائري خلال العهد الزياني (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة الزيانية:

ظهرت دولة بني عبد الواد في نهاية الثلث الأول من القرن السابع الهجري، واتخذت من تلمسان حاضرة لها. وأول من استقل بها أبو يحيى يغمراسن بن زيان، الذي بويع بعد مقتل أخيه زيان سنة 633هـ. وكانت الدعوة في تلمسان للموحدين، وقد ضعف أمرهم وثار عليهم صاحب إفريقية أبو زكرياء الحفصي ووصل بجيشه تلمسان، فخرج منها أبو يحيى يغمراسن ثم انتهى الأمر بينهما بالصلح. وأقبل بعد ذلك السعيد المؤمني من مراكش سنة 646هـ، 1248م يريد حرب الحفصي بإفريقية، فقاتل أبا يحيى يغمراسن لكن النصر كان لهذا الأخير، فقتل السعيد وغنم ما كان معه من ذخائر الدولة الموحدية وما كان لجيشه من متاع ومال. وكان ذلك بدء استقلال بني عبد الواد في تلمسان وما حولها من وسط غربي المغرب الأوسط. وكان يغمراسن أول من خلط زي البداوة بأبهة الملك في تلك الدولة، فكان محبًا للعلم ومجالسة العلماء، وقد استمرت إمارته أكثر من أربع وأربعين سنة (ت سنة 681هـ، 1283م. وبلغت الدولة عصرها الذهبي في عهد أبي حمو موسى الزياني في جميع النواحي؛ وسقطت في يد العثمانيين بصفة نهائية سنة (962هـ= 1555م) [1].

2- النشاط العلمي في الدولة الزيانية:

ظهرت حركة علمية نشطة داخل تلمسان في العهد الزياني، ويتضح ذلك من خلال ظواهر علمية متعددة منها: انتشار معاهد التدريس من مساجد ومدارس، ظهور عدد كبير من العلماء داخل المدينة على مدى ثلاثة قرون عملوا خلالها على نشر علونهم داخل المدينة ومدن الغرب والأندلس ومدن المشرق، ظهور عدد من المؤلفات لعلماء المدينة، تنوع العلوم المتداولة داخل المدينة من علوم عقلية وعلوم نقلية شملت بمحتواها جميع العلوم المعروفة بتلك الفترة، انتشار المكتبات العامة والخاصة، ظهور فتاوى من علماء تلمسان أخذت صفة التعميم على مستوى المغرب والأندلس.

3- الأدب والأدباء في العهد الزياني: "عرف الأدب الجزائري في هذه الفترة ازدهارا كبيرا، فتطور تطورا محسوسا من حيث الكم ومن حيث الكيف، ولقد تهيأت لذلك عدة عوامل من شأنها أن تدفع به، فقد قيض الله للبلاد أن قامت فيها دولة كان ملوكها من العلماء والأدباء والشعراء، فمن البديهي أن يسعوا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية، فقربوا اليهم أهل العلم والأدب، وأغدقوا عليهم، وحاطوهم برعايتهم وعنايتهم، فأصبح البلاط الزياني

[1] - ينظر: قرص الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، مادة: الدولة الزيانية.

زاخرا بالأدباء، فكانوا الكتاب الخبراء، والشعراء السياسيين للدولة، ينطقون بمجدها ويمدحون ملوكها.

وقد وجد **الشعراء** الأرض خصبة لمواهبهم، فطبيعة تلمسان وضواحيها فتانة من شأنها أن تؤثر في إحساسهم.، أضف إلى ذلك تلك الأحداث التي ألمّتْ بهذه الفترة، فما أشد ما كانت وطأتها على قلوب الناس، وما أقوى ما كان تأثيرها في نفوس الشعراء، فهذه العوامل كلها شحذت قرائح أهل القريض، فجاءوا بشعر كثير جيد في معظمه، نلمس فيه حبا للوطن، وافتتانا بطبيعته الساحرة.

وأما **الكتاب** فقد نهضوا بالنثر نهضة فنية. حلوه بخيال فسيح يلائم ذلك الجمال الإقليمي البديع وزينوه بالتشبيهات والاستعارات والعبارة الأنيقة وأفرغوه كالمشارقة والأندلسيين، في سجع يتضمن أحيانا الآيات القرآنية والأحاديث والأشعار والأمثال، واشتمل على كل مظاهر الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية. وبجانب هذا النثر الفني كان نثر مرسل، نلمسه في الأسلوب العلمي والكتابة التاريخية.

وأعجب الجزائريون بالموشحات الأندلسية منذ أواخر عهد الحماديين، ونسجوا على منوالها ولكنها لم تنضج إلا في هذا العصر، الذي تسرب فيه التصوف إلى الأدب الجزائري ونشأت المدائح ثم المولديات، فَحَفْلُ الأدب بمملكة تلمسان كان خصبًا، وسوقه رائجة. وعندما حلَّ بها المهاجرون الأندلسيون زاد هذا الحفل خصبا وهذه السوق رواجا. فكان منهم الشعراء والكتاب، وسجل التاريخ قصائدَ قالوها في مناسبات عديدة ورسائل أنشأوها لملوك بني زيان. والجدير بالذكر أن الأدب تأثر في هذه الفترة بأدب المشرق وأدب الأندلس دون أن يفقد شخصيته الجزائرية وما لها من مميزات"[1].

4- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الزيانية، ومختارات من أدبهم:

- **يغمراسن بن زيان**[2]: (681 – 603 هـ = 1206 - 1283 م) يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي، أمير المسلمين، أبويحيى: أول من استقل بتلمسان من سلاطين " بني عبد الواد ". بويع يوم مقتل أخيه (زيدان بن زيان) سنة 633 هـ وكانت الدعوة في تلمسان لبني عبد المؤمن، وقد ضعف أمرهم وثار عليهم صاحب إفريقية " أبو زكريا الحفصي " ووصل بجيشه إلى تلمسان، فخرج منها يغمراسن بأهله وماله إلى الصحراء، وأرسل إليه الحفصي يدعوه، فلم يجب. وانتهى الأمر بينهما بالصلح. وعاد الحفصي إلى إفريقية، ويغمراسن إلى تلمسان. وأقبل " السعيد المؤمني " من مراكش (سنة 646) يريد حرب الحفصي بإفريقية فلما اقترب من تلمسان أفرج له يغمراسن عنها، منحازا إلى جبل قريب منها، رغبة في السلم، فقصده السعيد، فاقتتلا فقُتل السعيد، وظفر يغمراسن بما معه من ذخائر الدولة المؤمنية " كالمصحف العثماني " و " العقد اليتيم " وما كان لجيشه من متاع ومال. وكان ذلك بدء استقلال بني عبد الواد في تلمسان وأغادير وتلك الأنحاء. وهو أول من خلط زيّ البداوة بأبهة الملك، في تلك الدولة. وكان شجاعا فاضلا حليما متواضعا، يكثر من مجالسة العلماء والصالحين. وصاهر بني حفص أصحاب تونس فزوج ابنه " عثمان " بابنة إبراهيم ابن عبد الواحد الحفصي، وخرج للقائها بمليانة

[1] - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص221-222.
[2] - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج8، ص206-207.

(Milyana) وبينما هو عائد أدركته الوفاة في وادي شلف (Oued Chelif) وحمل إلى تلمسان فدفن فيها. ومدة إمارته 44 سنة وخمسة أشهر و 12 يوما.

مقولة ليغمراسن في النسب الشريف الذي قيل فيهم: كان أسلافه يدعون النسب الشريف إلى بيت النبوة. فقال: " إِنْ كَانَ هَذَا صَحيحًا، فَيَنْفَعُنَا عِنْدَ اللهِ، أَمَّا الدُّنْيَا فَإِنَّمَا نِلْنَاهَا بِسُيُوفِنَا"[1].

ابن خميس التلمساني[2]: [645 – 708 هـ = 1247 – 1309 م] محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني، أبو عبد الله الشهير بابن خميس : شاعر فحل، عالم بالعربية، ولد بتلمسان، وبها نشأ وأخذ عن مشيختها. ولاه السلطان أبو سعيد بن يغمراسن ديوان الإنشاء، وأمانة سره . ثم رحل إلى سبتة فأقام بها مدة، ومدح رؤساءها من بني العزفي . وفي أواخر سنة 703 هـ دخل الأندلس وسكن غرناطة وتصدر للإقراء، فذاع صيته، فضمه الوزير أبو عبد الله بن الحكيم إلى مجلسه، وله فيه مدائح كثيرة . وكانت وفاته في حادثة نكبة الوزير ابن الحكيم، قتله بعض مهاجمي قصر الوزير دون جريرة، ضحوة يوم الفطر، مستهل شوال، وله نيف وستون سنة"

من شعر ابن خميس: في رثاء تمسان بعد سقوطها في يد المرينيين[3].

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو ... منى النفس لا دار السلام ولا الكرخ
وداري بها الأولى التي حيل دونها ... مثار الأسى لو أمكن الحنق اللبخ
وعهدي بها والعمر في عنفوانه ... وماء شبابي لا أجين ولا مضخ
قرارة تهيام، ومغنى صبابة ... ومعهد أنس لا يلذ به لطخ
إذا الدهر مثني العنان منهنه ... ولا ردع يثني من عناني ولا ردخ
ليالي لا أصغي إلى عذل عاذل ... كأن وقوع العذل في أذني صمخ
معاهد أنس عطلت فكأنها ... ظواهر ألفاظ تعمدها النسخ
وأربع آلاف عفا بعض آيها ... كما كان يعرو بعض ألواحنا اللطخ
فمن يك سكران من الوجد مرة ... فإني منه طول دهري لملتخ
ومن يقتدح زنداً لموقد جذوة ... فزند اشتياقي لا عفار ولا مرخ
أأنسى وقوفي لاهياً في عراصها ... ولا شاغل إلا التودع والسبخ
وإلا اختيالي ماشياً في سماطها ... رخياً كما يمشي بطرته الرخ
وإلا فعدوي مثلما ينفر الطلا ... وليداً، وحجلي مثلما ينهض الفرخ
كأني فيها أردشير ابن بابك ... ولا ملك لي إلا الشبيبة والشرخ
وإخوان صدق من لاتي كأنهم ... جآذر رمل لا عجاف ولا بزخ
وعاة لما يلقى إليهم من الهدى ... وعن كل فحشاء ومنكرة صلخ
هم القوم كل القوم سيان في العلا ... شبابهم الفرعان والشيخة السلخ
مضوا ومضى ذاك الزمان وأنسه ... ومر الصبا والمال والأهل والبذخ
كأن لم يكن يوماً لأقلامهم بها ... صرير، ولم يسمع لأكعبهم جبخ
ولم يك في أرواحها من ثنائهم ... شميم ولا في القضب من لينهم ملخ

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، دط، 1979، ج7، ص72.

[2] - عادل نويهض، – من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص135.

[3] - أحمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص370.

ولا في مححيا الشمس من هديهم سناً ... ولا في جبين البد من طيبهم ضمخ
سعيتم بني عمور في شت شملنا ... فما تجركم ربح ولا عيشنا ربخ
دعيتم إلى ما يرتجى من صلاحكم ... فردكم عنه التعجرف والجمخ
تعاليتم عجباً فطم عليكم ... عباب له في رأس عليائكم جلخ
وأوغلتم في العجب حتى هلكتم ... جماح غواة ما ينهنههم قفخ
كفاكم بها سجن طويل وإن يكن ... هلاك لكم فيها فهي لكم فخ
فكم فئة منا ظفرتم بنيلها ... بأبشارها من حجم أظفاركم برخ
كأنكم من خلفها وأمامها ... أسود غياض وهي ما بينكم أرخ
فللسوق منها القيد إن هي أغربت ... وللهام إن لم تعط ما رعت النقخ
كأن تحتها من شدة القلق القطا ... ومن فوقها من شدة الحذر الفتخ
وأقرب ما تهذي به الهلك والتى ... وأيسر ما تشكو به الذل والفنخ
فماذا عسى نرجوه من لم شعثها ... وقد حز منها الفرع واقتلع الشلخ
زعانف أنكاد لئام عناكل ... متى قبضوا كفاً على إثره طخوا
ولما استقلوا من مهاوي ضلالهم ... وأوموا إلى أعلام رشدهم زخوا
دعاهم أبو يعقوب للشرف الذي ... يذل له رضوى ويعنو له دمخ
فلم يستجيبوه فذاقوا وبالهم ... وما لامرئ عن أمر خالقه نخ
وما زلت أدعو للخروج عليهم ... وقد يسمع الصم الدعاء إذا أصخوا
وأبذل في استئصالهم جهد طاقتي ... وما لظنابيب ابن سابحة قفخ
تركت لمينا سبتة كل نجعة ... كما تركت للعز أهضامها شمخ
وآليت أن لا أرتوي غير مائها ... ولو حل بي في غيره المن والمذخ
وأن لا أحط الدهر إلا بعقرها ... ولو بوأتني دار أمرتها بلخ
فكم نقعت من غلة تلكم الأضا ... وكم أبرئت من علة تلكم اللبخ
وحسبي منها عدلها واعتدالها ... وأبحرها العظمى وأريافها النفخ
وأملاكها الصيد المقاولة الألى ... لعزهم تعنو الطراخمة البلخ
كواكب هدي في سماء رياسة ... تضيء فما يدجو ضلال ولا يضخو
ثواقب أنوار تري كل غامض ... إذا الناس في طخياء غيهم التخوا
وروضات آداب إذا ما تأرجت ... تضاءل في أفياء أفنانها الرمخ
مجامر ند في حدائق نرجس ... تنم ولا لفح يصيب ولا دخ
وأبحر علم لا حياض رواية ... فيكبر منها النضح أو يعظم النضخ
بنوا العزفيين الألى من صدورهم ... وأيديهم تملا القراطيس والطرخ
إذا ما فتى منهم تصدى لغاية ... تأخر من ينحو وأقصر من ينخو
رياسة أخيار وملك أفاضل ... كرام لهم في كل صالحة رضخ
إذا ما بدا منا جفاء تعطفوا ... علينا، وإن حلت بنا شدة رخوا
نزورهم حذاً نحافاً فننثني ... وأجمالنا دلح وأبداننا دلخ
يربوننا بالعلم والحلم والنهى ... فما خرجنا بز ولا حدنا برخ
وما الزهد في أملاك لخم ولا التقى ... ببدع، وللدنيا لزوق بمن يرخو
وإلا ففي رب الخورنق غنية ... فما يومه سر ولا صيته رضخ

تطلـــع يومـــاً والســـدير أمامـــه ... وقـد نـال منـه العجـب مـا شـاء والجفـخ
وعـــن لـــه مـــن شـــيعة الحـــق قـــائم ... بحجـــة صـــدق لا عبـــام ولا وشـــخ
فأصـــبح يجتـــاب المســـوح زهـــادة ... وقـد كـان يـؤذي بطـن أخمصـه الـنخ
وفـــي واحـــد الـــدنيا أبـــي حـــاتم لنـــا ... دواء، ولكـــن مـــا لأدوائنـــا نـــتخ
تخلـــى عـــن الـــدنيا تخلـــي عـــارف ... يـــرى أنهـــا فـــي ثـــوب نخوتـــه لـــتخ
وأعـــرض عنهـــا مســـتهيناً لقـــدرها ... فلـــم يثنـــه عنهـــا اجتـــذاب ولا مصـــخ
فكـــان لـــه مـــن قلبهـــا الحـــب والهـ□ـوى ... وكـــان لهـــا مـــن كفـــه الطـــرح والطـــخ
ومـــا معـــض عنهـــا وهـــي فـــي طلابـــه ... كمـــن فـــي يديـــه مـــن معاناتهـــا نـــبخ
ولا مـــدرك مـــا شـــاء مـــن شـــهواتها ... كمـــن حظـــه منهـــا التمجـــع والـــنجخ
ولكننـــا نعمـ□ـى مـ□ـراراً عـ□ـن الهـــدى ... ونصـــلج حتـــى مـ□ـا لآذاننـــا صـــمخ
ومـــا لامـــرئ عمـــا قضـــى الله مزحـــل ... ولا لقضـــاء الله نقـــض ولا فســـخ
أبـــا طالـــب لـــم تبـــق شـــيمة ســـؤدد ... يســـاد بهـــا إلا وأنـــت بهـــا ســـنخ
لســـوغت أبنـــاء الزمـــان أياديـــاً ... لـــدرتها فـــي كـــل ســـامعة شـــخ
وأجريتهـــا فـــيهم عوائـــد ســـؤدد ... فمـــا لهـــم كســـب ســـواها ولا نـــخ
غـــذتهم غواديهـــا فهـــي فـــي عـــروقهم ... دمـــاء، وفـــي أعمـــاق أعظمهـــم مـــخ
وعمـــتهم حزنـــاً وســـهلاً. فأصـــبحوا ... ومرعـــاهم وزخ ومـــرعيهم ولـــخ
بنـــي العـــزفيين ابلغـــوا مـــا أردتـــم ... فمـــا دون مـــا تبغـــون وحـــل ولا زلـــخ
ولا تقعـــدوا عمـــن أراد ســـجالكم ... فمـــا غـــربكم جـــف ولا غـــرفكم وضـــخ
وخلـــوا وراء كـــل طالـــب غايـــة ... وتيهـــوا علـــى مـــن رام شـــأوكم وانخـــوا
ولا تـــذروا الجـــوزاء تعلـــو علـــيكم ... ففـــي رأســـها مـــن وطء أســـلافكم شـــدخ
لأفـــواه أعـــدائي وأعـــين حســـدي ... إذا جليـــت خـــائيتي الغـــض والفضـــخ
دعوهـــا تهـــادى فـــي مـــلاءة حســـنها ... ففـــي نفســـها مـــن مـــدح أملاكهـــا مـــدخ
يمانيـــة زارت يمـــانين فانثنـــت ... وقـد جـد فيهـا الزهـو واسـتحكم الـزمخ

<u>ومما أنشده ابن خميس في حنينه إلى تلمسان[1]:</u>

سـل الـريح إن لـم تسـعد السـفن أنـواء ... فعنـد صـباها مـن تلمسـان أنبـاء
وفـــي خفقـــان البـــرق منهـــا إشـــارة ... إليـــك بمـــا تنمـــي إليهـــا وإيمـــاء
تمـــر الليـــالي ليلـــة بعـــد ليلـــة ... ولـــلأذن إصـــغاء وللعـــين إكـــلاء
وإنـــي لأصـــبو للصـــبا كلمـــا ســـرت ... وللـــنجم مهمـــا كـــان للـــنجم إصـــباء
وأهـــدي إليهـــا كـــل يـــوم تحيـــة ... وفـــي رد إهـــداء التحيـــة إهـــداء
وأســـتجلب النـــوم الغـــرار ومضـــجعي ... قتـــاد كمـــا شـــاءت نواهـــا وســـلاء
لعـــل خيـــالاً مـــن لـــدنها يمـــر بـــي ... ففـــي مـــره بـــي مـــن جـــوى الشـــوق إبـــراء
وكيـف خلـوص الطيـف منهـا ودونهـا ... عيـون لهـا فـي كـل طالعـة راء
وإنـــي لمشـــتاق إليهـــا ومنبـــئ ... بـــبعض اشـــتياقي لـــو تمكـ□ـن إنبـــاء
وكـــم قائـــل تفنـــى غرامـــاً بحبهـــا ... وقـــد أخلقـــت منهـــا مـــلاء وأمـــلاء

[1] - أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، ص370-376.

لعشـــــرة أعـــــوام عليهـــــا تجرمـــــت إذا مـــا مضـــى قـــيظ بهـــا جـــاء إهـــراء

• **<u>أبو حمو موسى الزياني الثاني</u>**: هو من سلالة مؤسس الدولة العبد الوادية (يغمراسن) "موسى الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، أبو حمو: مجدد الدولة الزيانية العبد الوادية في تلمسان، وثالث ملوكها في دورها الثاني . ولد في غرناطة بالأندلس، وكان أبوه مبعدا إليها منذ : 718 هـ / 1318م. وانتقل إلى تلمسان، في سنة ولادته، مع أبيه، فنشأ بها ودرس على أشهر علمائها مبادئ العربية والعلوم الدينية . وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، استولى بنو مرين على تلمسان سنة 737هـ فشهد زوال دولة آبائة الأولى في عهد أبي تاشفين. وخرج مع أبيه وكثير من أبناء قبيلته إلى فاس، وفيها واصل دراسته . وعاد مع أبيه إلى تلمسان سنة 750هـ، ثم استقر معه بندرومة ." =وتزوج بندرومـة وولد له أبو تاشفين، وفي سنة 753 هـ انتقل إلى تونس، وبقي في ضيافة الحاجب محمد بن تافراكين (758/753هـ)، اتصل بعدها بقبيلة الدواودة، وأغار معهم على عدة ثغور حتى اكتسب ثقتهم، ولعله وعدهم بشيء إن ساعدوه على فتح تلمسان . فلما مات أبو عنان سلطان بني مرين، رأى الفرصة مناسبة وتحرك إلى تلمسان ففتحها في صفر 760 هـ، ومازال بها سلطانا عادلا، شاعرا، أديبا، حتى تمرد عليه ولده أبو تاشفين الثاني سنة 791 هـ، وتحالف مع بني مرين ضده =من آثاره : واسطة السلوك، وقد اعتنى بجمع آثاره عبد الحميد حاجيات في كتابه الموسوم بـ : "أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره"[1]

<u>ومن نصائحه لولي عهده:</u> "فإنه لما كانت الأولاد قطع الأكباد، وعماد الظهور، وشفاء الصدور، وثمار القلوب، وجلاء الكروب، وأفضل بغية، وأجمل مطلوب، وأخلص محب، وأحسن محبوب، ودرة كل زين وقرة كل عين، ووصلة للأنساب، وسلسلة التناسب والاعتقاب، وورثة الآباء، ومنشأ الأبناء، وسر الحياة، وحياة العظام الرفات، يرغب فيهم الأنبياء، ويعتد بهم الأولياء، (..) وجب أن تكون لهم الآباء مثل السماء الظليلة، والشمس المنيرة، والسحب المنيلة، يتحفونهم بكل أدب وفضيلة، ويمنحونهم كل فائدة جليلة، وخير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة للتفريط في الحقوق، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق، (..) فرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة - إن شاء الله- من بعدنا، وصايا حكمية، وسياسة عملية علمية، مما تختص به الملوك، وتنتظم به أمورهم انتظام السلوك"[(2)]

<u>في علاقة السلطان الزياني بالخارج المرينيين</u>: قبيل الجلاء واستيلاء العدو على تلمسان، صور الشاعر الأيام والليالي الجميلة التي قضاها في تلمسان؛ على حائط قصر الإمارة ما نصه[3]:

سَـــــــكَنَّاهَا لَيَالِيَـــــــا آمِنِينَـــــــا وأَيَّامًـــــــا تَسُـــــــرُّ النَّاظِرِينَـــــــا
بَنَاهَـــــا جَـــــدُّنَا شَـــــيْخُ الْمَعَـــــالِي وكُنَّـــــا نَحْـــــنُ بَعْـــــضَ الْوَارِثِينَـــــا

[1] - عادل نويهض، – من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص125.
[2] - أبو حمو موسى الزياني الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، د ط، 1862، ص3.
[3] - الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر ق 19، تحقيق يحيى بوعزيز، دهر الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ج1، ص186.

فَلَمَّـــا أَنْ جَلّانَـــا الـــدَّهْرُ عَنْهَـــا تَرَكْنَاهَـــــا لِقَـــــوْمٍ آخَرِينَـــــا

إن هذه الرسالة الجدارية التي تتحدى ظاهرة الخوف، وتصور لحظة الانقلاب من حالة الأمن إلى اللا أمن، سرعان ما فهمها العدو ورد عليها ردا يسحر الألباب، حيث بدلوا النص وشوهوه، فأصبح ذا دلالة هجائية. وقد قالوا في تغييره:

سَـــــكَنَّاهَا لَيَالِيَـــــا خَائِفِينَـــــا وأَيَّامً □ا تَسُ □وءُ النَّاظِرِينَ □ا
بَنَاهَـــا جَـــدُّنَا شَـــيْخُ الْمَعَاصِـــي وكُنَّـــا نَحْـــنُ شَـــرَّ الْوَارِثِينَـــا
فَلَمَّـــا أَنْ جَلّانَـــا السَّـــيْفُ عَنْهَـــا تَرَكْنَاهَـــــا لِقَـــــوْمٍ غَالِبِينَـــــا

• **الثغري محمد بن يوسف**[1]: (أواخر القرن الثامن الهاجري / أوائل القرن 15 ميلادي؛ محمد بن يوسف القيسي التلمساني المعروف بالثغري، أبو عبد الله: شاعر أديب، كاتب، من أهل تلمسان، ومن أشهر شعرائها وبلغائها المقدمين لدى سلاطينها. وصفه المازوني: بالإمام العلامة الاديب الاريب الكاتب، ووصفه المقري: "بالعلامة الناظم الناثر "كان من شعراء بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني، له قصائد كثيرة نقل بعضها يحيى بن خلدون في "بغية الرواد" والمقري في " أزهار الرياض" وابن عمار في رحلته "نحلة الحبيب".

ومن شعره في مدح تلمسان وسلطانها[2]:

أيهـــا الحـــافظون عهـــد الـــوداد جـــددوا أنســـنا ببـــاب الجيـــاد
وصـــلوها أصـــائلا بليـــال كـــلآل نظمـــن فـــي الأجيـــاد
فـــي ريـــاض منضـــدات المجـــاني بـــين تلـــك الربـــا وتلـــك الوهـــاد
وبـــورج مشـــيدات المبـــاني باديـــات الســـنى كمشـــهب بـــوادي
رق فيهـــا النســـيم مثـــل نســـيبي وصـــفا النهـــر مثـــل صـــفو دوادي
ورهـــا الزهـــر والغصـــون تثنـــت وتغنـــت عليـــه ورق شـــوادي
وانبـــرى كـــل جـــدول كحســـام عـــاري الغمـــد سندســـي النجـــاد
وظـــلال الغصـــون تكتـــب فيـــه أحرفـــا ســـطرت بعيـــر مـــداد
تـــذكر الوشـــم فـــي معاصـــم خـــود قضـــب فوقـــه ذوات امتـــداد
وكئـــوس المنـــى تـــدار علينـــا بجنـــى عفـــة ونقـــل اعتقـــاد
واصـــفرار الأصـــيل فيهـــا مـــدام وصـــفير الطيـــور نغمـــة شـــادي
كـــان غـــدونا بهـــا لانـــس روحنـــا جادهـــا رائـــح مـــن المـــزن غـــادي
ولكـــم روحـــة علـــى الـــدوح كـــادت أن تـــربح الصـــبا لنـــا وهـــو غـــادي
ورقـــت الشـــمس فـــي عشـــاياها حتـــى أحـــدثت منـــه رقـــة فـــي الجمـــاد
جـــددت بـــالغروب شـــجو غريـــب هاجـــه الشـــوق بعـــد طـــول البعـــاد
يـــا حيـــا المـــزن حيهـــا مـــن بـــلاد غـــرس الحـــب غرســـها فـــي فـــؤادي
وتعاهـــد معاهـــد الأنـــس منهـــا غـــرس الصـــبا بصـــوب العهـــاد
حيـــث مغنـــى الهـــوى وملهـــى الغـــواني ومـــراد المنـــى ونيـــل المـــراد
ومقـــر العـــلا ومرقـــى الأمـــاني ومجـــرى القنـــى ومجـــرى الجيـــاد

---

[1] - عادل نويهض، – من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص92.

[2] - أحمد بن محمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، المغرب، دط، 1978، ج2، ص328 – 332.

كل حسن على تلمستان وقف ... وخصوصا على ربا العباد
ضحك النور في رباها وأربى ... كهف ضحاكها على كل نادي
وسما تاجها على كل تاج ... وسطا على كل وادي
يدعى غيرها الجمال فيقضي ... حسنها أنَّ تلك دعوى زياد
وبشعري فهمت معنى علاها ... من حلاها فهمت من كل وادي
حضرة زانها الخليفة موسى ... زينة الحلي عاطل الأجياد
وحبها بكل عذل وعدل ... وحماها من كل باغ وعادي
ملك جاوز المدى في المعالي ... فالنهايات عنده كالمبادي
معقل للهدى منيع النواحي ... مظهر للعلا رفيع العماد
قاتل المحل والأعادي جميعا ... بغرار الظبا وغر الأيادي
كلما ضنت السحائب أغنت ... راجتاه عن السحاب الغوادي
كم هبات له وكم صدقات ... عائدات على العفاة بوادي
فأيادي خليفة الله موسى ... أبحرت عذبة على الوراد
ركب الجود في بسيط يديه ... فتلافى به تلاف العباد
جل باريه ملجأ للبرايا ... كالحيا ضامنا حيا البلاد
جل من خصه بتلك المزايا ... باهرات من طارف وتلاد
شيم حلوة الجنى وسجايا ... يشد □يد المحد أنها كالشهاد
يا إمام الهدى وشمس المعالي ... وغمام الندى وبدر النوادي
لك بين الملوك سر خفي ... ليس معناه للعقول ببادي
فكأن البلاد كفك مهما ... كان فيها من ينتمي للعباد
قبض كفك البنان عليه ... فانثنى بالإذعان حلف انقياد
وبكم تصلح البلاد جميعا ... إن آراءكم صلاح البلاد
لم نزل دائما تحن إليكم ... كحنين السقيم للعواد
لو أعينت بمنطق شطرتكم ... مثل شكر العفاة للأجواد
قد أطاعتكم البلاد جميعا ... طاعة أرغمت أنوف الأعادي
فأريحوا الجياد أتعبتموها ... وأقروا السيوف في الأغماد
واهنئوا خالدين في عز ملك ... قائم السعد دائم الإسعاد
وإليكم من مذهبات القوافي ... حكما سهلت ليان المقاد
كل بيت من النظام مشيد ... عطر الأفق بالثناء المشاد
ذو ابتسام كزهر روض مجود ... وانتظام كسلك در مجاد

- **التنسي (... - 899هـ / ... - 1494م):** محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله التنسي: مؤرخ، أديب، شاعر، من أكابر علماء تلمسان، ورها نشأ وتعلم. وأصله من تنس. له "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" طبع. و "راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الامداح"، و"فهرست "

بأسماء مشايخه، و "الطراز" في الضبط، أي في رسم الخراز، و"فتاوى" حول مسألة يهود توات وغيرها[1].

قال التنسي في خصائص السلطان المتوكل: "فقد خص أعلى الله مناره بأمور لم تكن في غيره، منها حصول الشرف له من أبويه جميعا، فإن والده المولى محمد بن ثابت، بن أبي تاشفين، بن أبي حمو، بن أبي يعقوب، بن أبي زيد، بن أبي زكرياء، بن أبي يحيى يغمراس، بن أبي زيان. وأمه المولاة أمة العزيز، بنت محمد، بن أبي الحسن، بن أبي تاشفين، بن أبي حمو، بن أبي سعيد، بن أبي يحيى بن يغمراسن بن زيان. وهذا المعنى في الخلفاء عزيز، فقد ذكر جماعة من المؤرخين أنه لم يَلِ الخلافة مَنْ أبواه هاشميان إلا علي بن أبي طالب، والأمين بن الرشيد، فمولانا المتوكل ثالثهما في هذه الخاصية الشريفة"[2].

5- الأدب الجزائري خلال العهد الزياني خصائصه، تطوره، وأثره:

- ✓ ظهرت تلمسان في العهد الزياني كمدينة تعني الوطن الأم، يتفاخر بها أهلها وينافسون بها المدن الأخرى في المغرب والأندلس والمشرق.
- ✓ عاشت المدينة في العهد الزياني تحت حكم أهلها آل زيان. وكان عصرها الذهبي في العهد الزياني على عهد أبي حمو الزياني موسى الثاني.
- ✓ كانت صورة تلمسان في العهد الزياني أقرب إلى صور المدن الأندلسية.
- ✓ جذبت تلمسان في عهدها الزياني شعراء كثيرين، من أهلها: (ابن خميس، الثغري، التلاليسي..) ومن غير أهلها: (ابن الخطيب، يحيى بن خلدون،. ..)، وذلك بفضل وضعها العام، وكرم سلطانها.
- ✓ تأثر الشاعر التلمساني في العهد الزياني بشعراء المشرق العربي والأندلس، ونهل من كليهما، فجاء شعره خليطا بين الصحة والرقة.
- ✓ كانت علاقة الشاعر التلمساني بالحاكم في العهد الزياني علاقة إيجابية، شجعته على مدح الحاكم، ومدح المدينة، وعلى الإبداع في صناعة الشعر، والتفنن في أغراضه.
- ✓ كانت درجة التعصب للمدينة في العهد الزياني أشد ؛ بسبب تنافس تلمسان مع بني حفص وبني مرين، وانعكس ذلك على الشعر وصناعته، جودة وكثرة.
- ✓ كان الشاعر التلمساني أطول نفسا في القول خلال العهد الزياني.
- ✓ بقيت الأغراض الشعرية التي ظهرت من قبل قائمة، وظهرت أخرى جديدة وهي شعر المولديات، والشعر الصوفي، والموشحات والأزجال، والشعر التعليمي.
- ✓ جادت قرائح الأدباء في هذا العصر برقة في الأسلوب، وجودة في المعاني.
- ✓ نشط غرض الوصف والمدح السلطاني والمدح النبوي والشعر الديني أكثر من الأغراض الأخرى؛ ولعل مرجع ذلك لجمالية المكان في تلمسان، وكرم السلطان، والتزام الدين من السلطان والرعية معا.
- ✓ اشتهر من الشعر ابن خميس التلمساني، وأبو حمو موسى الثاني، والثغري، والتلالسي، ومن أهل النثر يحيى بن خلدون، والحافظ التنسي، وابن مرزوق الحفيد..
- ✓ شكل حنين ابن خميس في العهد الزياني ظاهرة حقيقية في الشعر الجزائري القديم.

---

[1] - عادل نويهض، – من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر -، ص85.

[2]- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان تحقيق محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1985، ص256.

- ✓ تضمنت المدائح مدح السلطان، ومدح المدن التي كانت بمثابة أوطان آنذاك، والمدائح النبوية.
- ✓ أما الرثاء فشمل الآباء والأبناء والعلماء خاصة والمدن كذلك، على غرار رثاء الأندلسيين لمدنهم.
- ✓ وسجل الهجاء حضوره في هذا العهد، وقد غذّته الحروب والفتن بين دويلات المغرب خاصة..
- ✓ امتازت اللغة الشعرية الزيانية بأنها موحية فصيحة، بل إنها مالت إلى الغرابة حتى شكلت ظاهرة لغوية في شعر ابن خميس.
- ✓ جاء إيقاع النص الزياني في أغلبه ابتهاجيا فرحيا مقبلا على الحياة متغنيا بها.
- ✓ أصبح الأدباء الجزائريون في العهد الزياني أكثر ارتباطا بوطنهم أكثر من كل العصور؛ ولا أحسب سبب ذلك إلا لنمو روح بالمواطنة عندهم. ولتعودهم على عيش الحضارة والمدن، وهجرة عيش البداوة.
- ✓ كان الأدب الزياني بشعره ونثره سجلا مهما خلَّد آثار الدولة وأخبارها. ومن ذلك ديوان ابن خميس التلمساني، وديوان الثغري، وكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني، وكتاب زهر البستان لمجهول..
- ✓ لم يكن أثر الأدب الجزائري الزياني مقصورا على الداخل فقط، بل صدّرت الجزائر آنذاك العلماء والرحالة والأدباء إلى البلدان المجاورة في تونس والمغرب والأندلس وحتى المشرق معلمين وعلماء دين، وقضاة، ومستشارين.